ابليس قال لى . . .

فى خلوة الخاطر وعند هدوء الكائنات يتلمس إبليس دائماً طريقه إلى النفوس هادياً إلى طريق الخطايا . وفى ثورة النفس وجماح العقل يهمس إبليس فى وشوشة ناعمة وهمسات مخدرة تردى فتات الإيمان في النفس . وعند بلوغ البأس أقصاه والضعف منتهاه يلقاك إبليس فى بشاشة وفى بسمة دونها ابتسامات العابثات . . . إنه فى كلا الحالات رفيق النفوس وزميل العاطفة وربان السفينة . إنه الوسواس الخناس . . . يوسوس فى صدور الناس .

إبليس هذا الذى يزور الناس فى هدوئهم وثوراتهم أبت عليه نفسه وسجاياه إلا أن يزورنى كما يزور الآخرين . زارنى فى شوق ظاهر ، وبشر طافح ، فى خلوة من خلوات الخاطر ، وأقبل على بلهفة فيها شراهة الجائع ، ولهث العاطش كأننى كنت له جنة من خطر وملجأ من خوف هالع . انتفضت فزعاً مذعوراً اذكر الله هاتفاً باسمه ، مستعيذاً من الشيطان . . . صائحاً من أنت ؟

قال : من أنا ؟ . . وابتسم فى وداعة الطفل . . . أنا صديق وحدتك ، ومن تهتف باسمه عند ما تروّع . . . أنا إبليس .

قلت : اغرب عنى . . . أعوذ بالله منك ومن صداقتك . . . أأصادق مخلوقاً خلق على غير ما خلق عليه الناس ، فجبل على حب المكروه لهم ، ووزع الشر أنصبة فى كل بيت ، وبذر الفتنة فى كل مجمع ، أأصادق من تستطير النفوس منه غضبى لا عنة حتى لم يبق إلا أن يكون له فى كل منها مساس من خطاياه ؟

قال : إنكم أيها الناس سرتم على سنة توحيدية فاتخذتم مبدأ القديم على قدمه أسلوب حياتكم . فلا تغير ولا اختلاف . فلو أنك استمعت إلى فى خلوتك هذه ، وهى ساعة من ساعات الصفو لا يعكرها معكر ، لآمنت بأن الناس على خطأ وأننى على صواب .

قلت : نحن الناس على خطأ وأنت على صواب . . . عجيب والله أمرك . وتطلب منى أن أسمعك بل وأصغى إليك ؟ !

قال : يقولون إن الإنسان حكيم نفسه . . . إنه يستمع إلى كل شىء فإن رآى فيه خيراً أخذ به وإن لمس الشر فيه ابتعد عنه .

قلت : إنك والله كما قالوا فيك . . . حلو الحديث ، حسن المعشر ، ولكنك سىء النتيجة نفعى المقصد . تعرف الطريق إلى أكل الكتف ، وتتسلى بإيذاء البشر . فما أحوج نفوس الناس إلى ستر من الفولاذ يحميها من شرك ، ويفصلها عن لقياك ؛ ولكنى سأستمع إليك ، فإن كان شراً يراد بى أو بمن أحب وأرضى لهم الخير ، فسأثور عليك ،

ولو عكرت على الناس هدأ هذا الليل الساكن .

قال : ونفسى ؟ ! لم آت إليك صاحب غرض أو مطمع ، إنما أشكو ضعف الحال فى هذه الأيام ، فلم يبق لى الناس من سبيل فى هذه الحياة . فإنى تعودت أن أعيش فى دنياى وحيداً ، والناس فى دنياهم ، وليست بينى و بينهم إلا زيارات قصار ، هى كل متعتى فى هذه الحياة . زرتهم فى أيامى هذه ، فلم ألق لى فى مجالسهم مقعداً ، ولا فى نفوسهم من مكان . قلت لعلهم مشغولون بأمر دنياهم ، والمشغول لا يشغل فعدت من حيث أتيت ، وكررت الزيارات مراراً ، فلقيت ما لا أحب أن يلقى الصديق . (يأخذ إبليس فى البكاء) .

قلت : لقد تعودنا نحن الناس إذا لم نجد لنا فى المجالس التى نتردد عليها مكاناً قطعنا التزاور ، فذلك أجدى على إبقاء الهدوء وسلامة النيات .

قال : إنى لست منكراً عليكم طريقتكم ، ولكن الذى أنكره عليكم ، أن أجد منكم أعمالا وتغيير أحوال ليست من شأنكم . إنى أراكم تقومون بما لستم مكلفين به ، وهو ليس من صناعتكم ، بل هو من عملى ومن شأنى . إنى لم أعهد فى نفسى أنى كلفت أحداً منكم بأن يقوم بعمل هو من صميم اختصاصى ومن ابتكارى وفنى . لقد كنت أعمل ما أعمل غير متعد أو متجن على أحد ، بل تركت لكم ما تدينون به من مذهب العمل ، ولى ما أدين به من مذهب . ولكنى اليوم أراكم أيها الناس قد بدأتم تقاسموننى العمل ، فقلت لعلهم لمسوا فى الشيخوخة فمست عاطفة العون والمساعدة قلوب الأعوان والرفقاء ، فتحملوا بعض العبء وتركوا لى البعض الآخر أعيش عليه بقية العمر .

قلت : وهل لك أعوان ورفقاء يساهمون معك فى مهمتك الإبليسية ؟ هل هم شركاء فى شركة الشر ينالون الفوائد على أنصبتهم ؟

قال : نعم لى رفقاء ، ولكنهم ليسوا بشركاء ، بل هم متطوعون ، يفعلون الخير حباً للخير ، ولا يريدون من وراء ذلك جزاءاً ولا شكورا .

قلت : أتسمى سياستك البغيضة خيراً ، وأعوانك خيرون ؟

قال : فاعل الخير لا يأتى إلا بالخير ولا يسعى إلا إليه ، فإن رأى الخير يؤتى أكله سارع إليه غير عابىء بما يلقى من ذميم الشتائم وقبيح السباب ، و إن رأى الشر هو نجم النحس فى مسيره عدل عنه ونكص لئلا يضر نفسه و يضر غيره . وأعوانى فى ذلك وأنا على رأسهم نتخذ هذا الشعار علماً لكل ما نعمل ونفعل فقد آنسنا منه رشداً وهدايا لخير بنى الإنسان

قلت : كأنك تأخذ علينا مآخذ إبليسية ، وتحملنا أوزاراً شيطانية ؟

قال : أى ونفسى ؟ ! لقد أصبح الإنسان إبليس الحياة فى الأرض وشيطان الغواية فى دنيا البشرية .

قلت : أفصح فلعل فى الأمر شيئاً إنك تقلق على راحتى وهدوئى .

قال : هون عليك يا صديقى . . . وستعلم أن إبليس هذا الذى تلعنه سينقلب ملاكا بجانبكم أيها الناس .

قلت : وهل وصلنا إلى هذا الدرك ؟

قال : نعم . : . وأقولها وأنا أتلمس البواقى من إيمانى بقدرتى ، فلعلها تكون لى عوناً إلى آخر العمر . . . أتودُّ أن تعلم أنكم أصبحتم أبالسة ؟

قلت : هات ما عندك ، و إن كنتُ مؤمناً بالله بأن الناس ما زالوا بخير .

قال : أليس فيكم من يسعى إلى الفساد والإفساد وقد

(البقية على صفحة ٣٨)